

الفكر الجزائري المعاصر - عبدالمجيد مزيان نموذجاً -

أولاً: من هو عبدالمجيد مزيان ؟

ولد عبد المجيد مزيان في تلمسان غرب الجزائر في 17 مارس 1926 في عائلة علمية عريقة فهو حفيد قاضي تلمسان الشيخ مختار مزيان، ونجل الشيخ محمد بن التهامي مزيان عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حفظ القرآن الكريم في التاسعة من عمره، وكان يطلق في صغره عليه لقب «الفقيه».

تعلم مبادئ اللغة العربية بدار الحديث ودروس اللغة الفرنسية بالمدارس العمومية، انتقل سنة 1946 إلى مدينة الرباط بالمغرب ليواصل تعليمه العالي في جامعتها ويتخصص في الفلسفة. أصبح سنة 1949 أميناً عاماً لإقليم تازة المغربي، وشارك سنة 1950 في كفاح التحرير المغربي. انخرط في حزب الشعب الجزائري وعمره 16 سنة، التحق بثورة التحرير الوطني عند اندلاعها في سنة 1954، انضم إلى وزارة التسليح والاتصالات العامة (المالغ) وعينته قيادة الجهاز في إذاعة الجزائر الحرة المكافحة بتونس سنة 1956 فكان من أبرز منشطيهما إلى جانب المرحوم عيسى مسعودي. أصبح في 1959 منسقاً لجبهة التحرير الوطني في المغرب إلى غاية استرجاع الاستقلال سنة 1962. مكنته خبرته الإدارية التي اكتسبها من عمله في إقليم تازة بالمغرب من تولي منصب والي وهران سنة 1963 لمدة قصيرة، ثم أصبح مديراً لديوان رئيس الجمهورية أحمد بن بلة من 1963 إلى 1965. إضافة إلى شغله منصب الأمين عام لوزارة الداخلية. بعد التصحيح الثوري الذي نفذته وزير الدفاع العقيد هواري بومدين ضد حكم الرئيس بن بلة في 19 جوان 1965، انسحب الدكتور عبد المجيد مزيان من الحياة السياسية وتفرغ للعمل الأكاديمي، ودرّس الفلسفة وعلم الاجتماع في العديد من الجامعات والمدارس الكبرى منها جامعة الجزائر، وهران وتلمسان والمدرسة العليا للإدارة بالجزائر والمدرسة العليا للأساتذة وبالأكاديمية العسكرية لشرشال، وشغل وظيفة مفتش عام للفلسفة طوال عشرية السبعينيات. ثم أصبح رئيساً لجامعة الجزائر من 1980 إلى غاية 1981، عُيّن في عهد الرئيس الأسبق الشاذلي بن جديد وزيراً للثقافة من سنة 1982 إلى 1984 في حكومة الوزير الأول محمد بن أحمد عبد الغني، ثم وزيراً للثقافة والسياحة من 1984 إلى 1986 في حكومة الوزير الأول عبد الحميد براهيمي، في عهد الرئيس الأسبق اليمين زروال عُيّن سنة 1998 رئيساً

للمجلس الاسلامي الاعلى، أشرف بصفته رئيسا للمجلس على عدة ملتقيات دولية حول الاسلام، منها الملتقى الدولي حول: «صورة الإسلام في وسائل الإعلام الأجنبية» و«الإسلام والديمقراطية». وبقي في هذا المنصب إلى أن وافته المنية في 15 يناير 2001 .

وكان الراحل عبد المجيد مزيان عضوا في العديد من الهيئات العلمية والأكاديميات الجزائرية والعربية، فكان نائب رئيس الأكاديمية الجزائرية للغة العربية، وعضوا في بيت الحكمة بتونس، وعضوا بالأكاديمية العربية بالقاهرة، وعضوا بالأكاديمية الملكية المغربية. وساهم في إثراء المجال الإعلامي بواسطة كتابة مئات المقالات في مختلف المجالات والصحف والدوريات الجزائرية والعربية والدولية، وكذلك من خلال تنشيط عدد من الحصص المتعلقة بالفلسفة وعلم الاجتماع والفكر الإسلامي، ومنها الحصة المتلفزة التي كان ينشطها في السبعينيات مع المفكر الراحل عبد الله شريط رفقة الإعلامي الراحل مصطفى عبادة المدير العام الأسبق للتلفزيون، كما نشط باللغة الفرنسية في 1997 على القناة الفرنسية الثانية (France 2) حصة حول التعريف بالإسلام سنة 1997. وعشرات المساهمات في مجلتي (الاصالة) و(الثقافة).

ويعتبر المفكر عبد المجيد مزيان أحد رواد حوار الحضارات، والدعوة إلى ثقافة التسامح والتعايش بين الأديان. من أشهر الشخصيات الدينية العالمية من أهل الكتاب وعلماء الاستشراق الذين حاورهم، وارتبط بهم بروابط الصداقة والتعاون الفكري والثقافي، منهم على سبيل المثال لا الحصر: الرائد وعالم الاجتماع الفرنسي فنسان مونتاي، والبروفيسور جاك بيرك، المستشرقان ريجيس بلاشير، وماكسيم رودنسون، ورؤساء الكنيسة الكاثوليكية في الجزائر الكاردينال ليون اتيان دوفال، والأسقف هنري تيسييه.

ثانيا: مؤلفات عبدالمجيد مزيان

كان - رحمه الله- مثقفا عالمي السمعة متمكنا من عدة لغات على رأسها العربية والفرنسية. ترك مؤلفات فكرية قيمة منها: كتاب «النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي» الصادر بالعربية في سنة 1988، وكتاب «فلسفة الإسلام الاجتماعية» باللغة الفرنسية.

ثالثا: فكر عبدالمجيد مزيان

يرى البروفيسور بوعرفة عبدالقادر أن عبد المجيد مزيان لم يكن صاحب مشروع حضاري مقارنة بأصحاب المشاريع العرب، أمثال مالك بن نبي، محمد عابد الجابري، أو حسن حنفي ... ولكنه كان قد حمل هاجسا وهما حضاريا ثقيلًا، عبر عنه في العديد من كتاباته ومحاضراته ولقاءاته التلفزيونية. فهو قد تحدث حسب بوعرفة عبدالقادر عن الغد والمستقبل، وفي حديثه عن العَدِيَّة نجده لا يختلف كثيرا عن لحبابي، فهو يصر على ضرورة التفكير في الغد والإعداد له إعدادا يليق بالمسلم في عالم يحتكره الكبار. وتحدث عن الحضارة ومشكلاتها، وهو في ذلك لا يختلف كثيرا عن مالك بن نبي، بل نجده أضفي طابعا خلدونيا جديدا على تصورات مالك بن نبي وأفكاره عن الحضارة. ويكاد يجزم بوعرفة عبدالقادر أن عبد المجيد مزيان تحدث بوضوح عن عملية إحيائية نوعية تخص الانبعاث الحضاري المرتقب، وقد حدد لها جملةً من الشروط الذاتية والموضوعية.

ولا ينظر عبد المجيد مزيان إلى الحضارة حسب بوعرفة عبدالقادر من حيث هي ترف ومكتسبات مادية فحسب، بل الحضارة تكمن في الوعي بالتقدم نحو الأفضل، مع الحفاظ على الإرث والقيم الروحية التي تحفظنا من الانزياح نحو مزلة الحضارة، كما حدث لحضارة الأندلس وبلاد المغرب الكبير. إن الحضارة هي إرث متواصل يتطلب عملا أنيا وتطلعا مدروسا نحو المستقبل، عندئذ يتطلب منا تجسيد هذا الأمل ثورةً عارمةً، تمكننا من الإقلاع الحضاري وفق سنن الكون وفلسفة التاريخ. يقول عبد المجيد مزيان: «كل حضارة عظيمة كان لها بشكل ما بعدها العالمي وعبرت عن التقدم الإنساني لكل البشرية. فالحضارة الإسلامية تصدرت على امتداد عدة قرون واجهة التاريخ، واجتهدت في تأكيد عالميتها بإسهاماتها وانفتاحاتها الثقافية في بعض الأحيان، وبواسطة صداماتها وتلاقحاتها الفكرية في أحيان أخرى، ولكنها ورغم الصور ذات الصبغة العدائية التي تلصق بها من خلال الرؤية الغربية المعاصرة لها، تبقى حضارة عالمية الطابع، متعددة الأعراق والمجتمعات. فهي من حيث المبدأ حضارة تبادل وحوار، أما الفكرة الشائعة التي تصنف العالم الإسلامي في خانة المجتمعات المنغلقة، فهي تخلط بين العداوات الناشئة عن ردود فعل الدفاع الذاتي ضد الصدمات والرفض للفترات الاستعمارية، وبين الانفتاحات الكبرى لعصور الحرية».

ويشير بوعرفة عبدالقادر إلى أن عملية الإقلاع الحضاري عند عبدالمجيد مزيان لا تنطلق من فراغ، ولا يجب أن تتأسس على قطائع لن تجعل الحضارة بمأمن من مكر التاريخ، بل يجب أن تنطلق من أبعاد الزمن الثلاثة معا، فالماضي تراث وجذور، والحاضر وعي وعمل، والمستقبل أمل ومصير. يفرض الإقلاع الحضاري أن تكون عملية الإعداد له مدروسة وهادفة، ويجب على الجيل الذي يحمل رسالة الاستخلاف والشهادة أن يوفر جميع الشروط الضرورية للقفزة الحضارية المأمولة.

وينطلق المفكر عبد المجيد مزيان في تأسيسه للمشروع الحضاري حسب بوعرفة عبدالقادر من قاعدة إبستيمية هامة، تقوم على ضرورة تجاوز كوجيتو حضاري سلبي، تمثل في مقولة: " أنت منطوي إذن أنت منط حضاريا" إلى كوجيتو إيجابي، يتمثل في: " أنت منفتح حضاريا إذن أنت إنسان سوي." تدل هذه المقولة على أن الحضارة لا يمكن أن تتأسس على الفكر السحري الذي يعيش في أتون (موقد) الماضي ومتمونه فقط، بل الحضارة تتأسس على مجموعة من الشروط الذاتية والموضوعية. وأول شرط من شروطها، ضرورة أن يكون المسلم منفتحا سويا، وألا يكون شخصية منطوية مريضة، والغاية من هذا الكوجيتو تحرير المسلم من ذهنية الرجوع إلى الوراء (الماضي)، فالحضارة لا تُبنى من خلال قانون العودة إلى الوراء، بل الحضارة دوما تتشكل من خلال قانون التقدم نحو المستقبل، ولا يمكن أن يصل المسلم إلى هذا الوعي، إلا إذا تحرر من وهم وسحرية الماضي، فلا العصر الذهبي للإسلام ولا صدر الإسلام يمكنهما أن يحلا مشاكل المسلم في أي قرن قادم.